﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ۝٤٧ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ۝٤٩ وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ۝٥٠ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ۝٥١ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٞ ۝٥٣ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥﴾ [القمر: 47 - 55]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

الانتقالُ من ذِكر السّاعة إلى ذِكر عَذابِها تفصيلًا ونعيمِها إجمالًا

لمّا ذَكرتِ الآياتُ السّابقةُ السّاعةَ باعتبارِها عاقبة المُجرمين في الدُّنيا، ناسبَ ذِكرَ تعليل استحقاقِ المُجرمين لِما أُعِدَّ لهم فيها، فجاء التَّقريرُ بصيغة التَّوكيد، جامعًا بين ضلالِهم في الدُّنيا واحتراقِهم في الآخرة، فقيل: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ﴾؛ بيانًا لحالِهم الماضية والآتية، ولِيبطُلَ تعجُّبُ مَن توهَّمَ النَّجاةَ مع التَّكذيب، مع ختم الآياتِ ببيانِ مآلِ المؤمنين على سبيل الإجمالِ بعد ذِكْر مآلِ الكافرينَ على سبيل التَّفصيل.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَسَّ﴾: أصل (مسّ) يدلُّ على جَسِّ الشَّيءِ باليَد[1]. والمسُّ يُقال فيما يكونُ معه إدراكٌ بحاسَّة اللَّمس. ويُقالُ في كلِّ ما ينال الإنسانَ من أذى[2]، وهو مَجازٌ في إصابةِ الشَّيءِ وحُلولِه، فمِنهُ مَسُّ الشَّيطانِ؛ أي: حُلولُ ضُرِّ الجِنَّةِ بالعَقلِ، ومَسُّ سَقَرٍ: ما يُصيبُ مِن

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مسّ).
(2) الرّاغب، المفردات: (مسس).

نارِها، ومَسَّهُ الفَقرُ والضُّرُّ: إذا حَلَّ به[1]، والمَسوسُ مِنَ المياه: ما نالتهُ الأيدي[2]، والمرادُ هنا: إصابةُ جهنَّم لكم. فإنَّ مسَّها سببُ التّألُّم بها[3].

2) ﴿سَقَرَ﴾: أصل (سقر) يدلُّ على إحراقٍ أو تلويحِ بنارٍ[4]. وسَقَر: عَلَمٌ على جَهَنَّمَ، وهو مُشتَقٌّ مِنَ السَّقْرِ بسُكونِ القَافِ، وهو التِهابٌ في النَّارِ، فـ ﴿سَقَرَ﴾ وُضِعَ عَلَمًا لجهنَّم؛ ولذلك فهو مَمنوعٌ مِنَ الصَّرفِ للعلَميَّةِ والتَّأنيثِ؛ لأنَّ جهنَّمَ اسمٌ مُؤنَّثٌ معنًى اعتبَروا فيه أنَّ مُسمَّاهُ نارٌ، والنَّارُ مُؤنَّثةٌ[5].

3) ﴿بِقَدَرٍ﴾: أصل (قدر) يدلُّ على مَبلَغِ الشَّيءِ وكُنهِه ونِهايته. والقَدْرُ: قَضاءُ اللّه تعالى الأشياءَ على مَبالغِها ونِهاياتِها الَّتي أرادَها لها، وهو القَدَرُ أيضًا[6]. والقَدَرُ في الآية معناه: تحديدُ الأُمور وضبطُها[7]؛ أي: مُقدَّرًا مُرتَّبًا على مُقتضى الحكمة، أو مُقدَّرًا مَكتوبًا في اللَّوح المَحفوظ قبل وقوعِه[8]. وحقيقةُ القَدَرِ الاصطلاحيِّ خَفيَّةٌ؛ فإنَّ مِقدارَ تأثُّرِ الكائناتِ بتصرُّفاتِ اللّه تعالى وبتسبُّبِ أسبابها ونهوضِ مَوانِعها لم يبلُغْ عِلْمُ الإنسانِ إلى كشفِ غَوامضِه[9].

4) ﴿كَلَمْحٍ﴾: أصلُ (لمح) يدُلُّ على لَمْعِ شَيْءٍ. يُقالُ: لَمَحَ البَرْقُ والنَّجْمُ لَمْحًا، إذا لَمَعا[10]. واللَّمْحُ: النَّظَرُ بالعَجَلَةِ. يُقالُ: لَمَحَ البَرْقَ ببصَرِه. ولَمَحَهُ وألْمَحَهُ إذا أبصَرَه بنظَرٍ خَفيفٍ، والاسمُ اللَّمْحَةُ[11]. ومعناه هنا: النَّظرُ السَّريعُ العاجلُ الَّذي لا تَريُّثَ معَهُ ولا انتظار، والمرادُ بهذه الآيةِ وأمثالها: بيانُ كمالِ قُدْرة اللّه تعالى وسُرعةِ إيجادِه لكلِّ ما يُريد[12].

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (مسس)، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 2/ 316.
(2) الخليل، العين: (مسس).
(3) الجلالين، تفسير الجلالين، ص: 708، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 168.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سقر).
(5) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 216.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قدر).
(7) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 217.
(8) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 168.
(9) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 219.
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (لمح).
(11) الجوهريّ، الصّحاح: (لمح)، والواحديّ، البسيط: 21/ 126.
(12) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 120.

5) ﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾: أصل (شيع) يدُلُّ على مُعاضَدَةٍ ومُساعَفَةٍ[1]. ومنه الشِّيعَة: الفِرْقَةُ، أو القَومُ يَجتَمعونَ على الأمر[2]، وكلُّ قَومٍ أمْرُهُم واحِدٌ يَتْبَعُ بَعضُهُم رأيَ بعضٍ فهُم شيَعٌ، ويُقالُ: هُم شيعَةُ فُلانٍ، وشيعَةُ كذا مِنَ الآراءِ[3]، وجمعها شيَعٌ، وأشياعٌ جمعُ الجمع[4]. وذهبَ القرطبيُّ إلى أنَّ أصلَ الكلمة مأخوذٌ مِنَ الشِّياع؛ وهو الحَطَب الصِّغارُ توقَدُ به الكبارُ[5] حتَّى تشتعلَ النّار. والمرادُ به هنا: الأشباه والنَّظائر[6]؛ أي: أشباهَكُم في الكُفر ممَّن قبلَكم[7].

6) ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾: أصل (سطر) يدُلُّ على اصطِفافِ الشَّيءِ، كالكِتابِ والشَّجَرِ. والسَّطْرُ: الصَّفُّ مِنَ الشَّيء. والسَّطْرُ: الخَطُّ والكتابةُ، وهو في الأصل مَصدرٌ، والسَّطَرُ بالتَّحريك مثله[8]. والمُرادُ هنا: مَكتوبٌ مَسطورٌ في اللَّوح المَحفوظ[9]، وهو اسم مَفعولٍ من (استطر) زِنةُ (افتعل) بمعنى: مَكتوب، وزنُه (مُفْتَعَل) بضمِّ الميم وفتحِ العين[10].

7) ﴿وَنَهَرٍ﴾: أصلُ (نهر) أصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على تفتُّح شيءٍ أو فتحِه. النَّهْر: مَجرَى الماء الفائض؛ وسُمّيَ نَهْرًا؛ لأنَّه يَنهَرُ الأرضَ؛ أي: يَشقُّها، وأصلُه يدُلُّ على تَفَتُّحِ شيءٍ أو فتحِه. يقال: نَهرتُ الشَّيءَ؛ أي: شققْتُهُ شَقًّا واسعًا. ثمَّ أُطلقَ النَّهرُ على الماء الجاري في هذا الشَّقِّ للمُجاورة، تجوُّزًا[11]. ونَهَر هنا: بفتحتَينِ لُغَةٌ في نَهْرٍ بفَتحٍ فسُكونٍ. والمُرادُ به اسمُ الجِنس الصّادِق بالمُتعدِّد؛ لقوله تعالى: ﴿مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الأعراف: 43][12]. والمرادُ هنا: أنهار، وحَّدَ وأراد الجَمع[13].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شيع).
(2) الزّجّاج، معاني القرآن: 3/ 174، وابن سِيده، المُحكم: (شيع).
(3) الجوهريّ، الصّحاح، والزّبيدي، تاج العروس: (شيع).
(4) ابن سِيده، المُحكم: (شيع).
(5) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 10/ 6.
(6) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 14/ 121.
(7) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 168.
(8) الجوهري، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (سطر).
(9) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 168.
(10) صافي، الجدول: 14/ 86.
(11) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (نهر).
(12) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 225.
(13) الجوهريّ، الصّحاح: (نهر)، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 169.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ضلالُ المُجرِمين، وعَـــدلُ الـلـهِ في المـصـير بين الفريقين

تُختمُ السّورةُ الكريمةُ بهذه الآيات ببيانٍ شاملٍ لمصير النّاس على اختلاف مَواقِفهم مِنَ الإيمان والطّاعة. فيُخبر أوّلًا عن حالِ المُجرِمين الّذين أفسَدوا أنفسَهم بالشِّرك والمعاصي، بأنَّهم في ضلالٍ في الدُّنيا، وفي نارٍ مُستعِرةٍ يومَ القيامة، يُسحَبون فيها على وجوهِهم، ويُقالُ لهم على سبيل التَّهكُّم: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾، وهي دَركةٌ من دَركاتِ جهنَّمَ.

ويُؤكِّدُ سبحانَه أنَّ هذا المَصيرَ، كسائر ما يقعُ في الكون، إنَّما هو بقدرٍ سبقَ به عِلمُ اللّه، فما من شيءٍ إلّا وقد خُلِقَ بقَدرٍ مُحدَّدٍ، لا يقعُ إلّا بما شاءَه اللّهُ وعَلِمَه وكَتَبَه، وكلُّ أمرِه إذا أرادَ شيئًا، فهو لا يَستدعي منهُ إلّا قول: (كُن) فيكون في لَمْحِ البصر.

ثمَّ يُذكِّرُ قريشًا بمَن سبقَهُم مِنَ المُكذِّبين، من أشياعهم وأمثالهم، الّذين أهلكَهُم اللّهُ؛ ليكونَ في ذلك مَوعظةٌ لِمَن أراد أن يتذكَّرَ، ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾، ويُبيِّن أنَّ أعمالَ هؤلاء كلَّها مَحفوظةٌ في الزُّبُر - أي صُحف الملائكة - فلا يغيبُ منها شيءٌ، بل كلُّ شيءٍ مُدوَّنٌ في اللَّوح المَحفوظ.

ثمَّ يَعرِضُ في المُقابل مصيرَ المُتَّقين، الّذين أطاعوا اللّهَ، وابتعدوا عنِ الشِّرك والمعاصي، بأنَّهم في جنّاتٍ وأنهار، في مَقعَد صِدقٍ، في مَجلسٍ لا لغوَ فيه ولا باطلَ، عند مَلكٍ مُقتدِرٍ، يَجزي كلَّ عبدٍ بما قدَّمَ، ويجعلُ لكلِّ فريقٍ ما يستحقُّه عدلًا وحِكمةً ورحمةً[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مَوقِع جملة ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ﴾:

جملةُ ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ﴾ بيانٌ مُصوِّرٌ لفظاعَةِ

(1) الجزائريّ، أيسر التّفاسير: 5/ 220، 221.

إظهارُ مآل المُجرِمين بيانٌ لهَولِ السّاعة وشِدَّةِ وعيدِها

السّاعة، وتفصيلٌ للعذاب الّذي وُعِدَ به المُشركون في قوله: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾، فلمّا ذَكَرَ المحلَّ الزَّمنيَّ (مَوعِد السّاعة)، وذَكَرَ فظائعَه وأهوالَه ﴿أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾، بيَّنَ هنا أحوالَ الحالّين والمُقيمين المُستحقّين لهذا المَحلِّ المَوعود، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾[1].

فائدة استعمال ﴿إِنَّ﴾:

التَّهديد بعذاب الآخرة يستدعي التّنبيهَ والتّأكيدَ

افتتاحُ الجملة بـ﴿إِنَّ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾؛ للاهتمام بصريح الخبر، فحرفُ ﴿إِنَّ﴾ يُفيدُ التَّوكيدَ والاهتمامَ. والاهتمامُ في هذا السّياق مُهِمٌّ؛ لأنَّ الكلامَ يُنبِئُ عن عاقبةٍ عظيمةٍ، وهي ضلال المُجرِمين واحتراقهم في النّار. والتَّوكيدُ يُلفِتُ السّامِعَ إلى خطورة المَضمون، فلا يمرُّ عليه مرَّ الكرام. والتَّأكيد هنا أيضًا مطلوبٌ بسبب التَّعريض، فالسّياقُ ظاهرُ التَّوجيه للنَّبيِّ ﷺ، لكنَّه يتضمَّنُ تَعريضًا بالمُشركين. وهذا التَّعريضُ مُؤكَّدٌ بـ﴿إِنَّ﴾؛ لأنَّ المُشركين يُنكرون العذابَ الأُخرويَّ، فناسَبَ أن يُؤكَّدَ الكلامُ عند تعريضِهِ بهم. والتَّعريضُ المُؤكَّدُ أقوَى وقعًا عليهم مِنَ التَّصريح غير المُؤكَّد، إذ يُظهِرُ ثِقةَ المُتكلِّم بحصول ما يُنكرُه السّامعُ، وهذا أبلغُ في الزَّجر والإفحام. وعليه: فحرفُ ﴿إِنَّ﴾ في هذا المَوضِع جَمَعَ بين الوظيفة النَّحويَّة الأصليَّة: التَّوكيد. والوظيفة البلاغيَّة: الاهتمام، والتَّعريض مع الزَّجر[2].

معنى تعريف لفظِ ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾:

احتمالُ الاستغراقِ والعهدِ قائمٌ على معاني السَّوابق واللَّواحق

(الـ) في لفظ ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ للاستغراق، على أنَّ الجملةَ كالتَّعليل لِما قبله، ولذا أُكِّدَ بـ(إنَّ)، واختير الفصل، فلا يكون من باب وضع المَظهَر مَوضِعَ المُضمَر. ويجوز أن تكونَ (الـ) للعهد، والمرادُ مَن سبقَ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 215.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 215.

قصَصُهم في السّياق القريب، وعلى هذا يكون اللَّفظُ ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ من باب الإظهار في مَقام الإضمار تأكيدًا لِما قبله[1].

فائدة إيثار الإظهار على الإضمار:

الإجـرامُ عِـلَّـةُ العذابِ ووصمةُ عـارٍ تـغـمِـسُ أصحابَها في النّار

بناءً على القول بأنَّ تعريفَ لفظ ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ للعهد فإنَّ النَّظمَ يكون قد آثرَ إظهارَ لفظ ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ﴾ بدل الإضمار، فلم يقُل: (إنَّهم في ضَلال وسُعُر)، وفائدةُ الإظهار في مَقام الإضمار إلصاقُ وصف الجُرم بهم بوجهٍ لا انفكاكَ عنه؛ بالتَّصريح بهذا اللَّقب ﴿ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ بدل ضميرهم، فكلُّ ما يأتي بعد هذا الوصف مَصبوغٌ بصِبغةِ الإجرام، فيكون العذابُ لاحقًا لهُم بسبب هذا الوصف الّذي لا يُفارقُهم، وللتَّشهير بوَصفِهم، والتّنديد بحالهم الإجراميَّة، ولتعليل جزائهم بإجرامهم؛ مع التَّوطئة لِما سيأتي ذِكرُه من صوَر العذاب، فإذا عَرَفَ المُتلقّي أنَّهم مُجرمون استعدَّ ذِهنُه لتلَقّي تفصيل مَصيرهم المُؤلم، مثل قوله: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ﴾[2].

توجيهُ تخصيصِ المُشركينَ بنعتِ الإجرام:

الـوصـفُ بـ(الإجـرام) في القرآنِ الكريم يشمَلُ الكُفر والطُّغيان والظُّلم؛ وهو عِلَّةُ العذاب

آثرَ النَّظمُ الكريمُ اختيارَ صِفةِ الإجرام دونَ الكُفرِ أو الشِّركِ أو التَّكذيبِ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾؛ وذلك أنَّ الإجرامَ هو القائدُ إلى التَّعدّي والإفسادِ والاعتداء بالفعل، فهو أغلظُ وأشنَعُ من مُجرَّد الكُفر، ويَلزمُ عنه الكُفر في القرآن الكريم؛ ففيه تنبيهٌ على سبب استحقاقِ العذاب؛ فالإجرامُ لا يَقتصِرُ على كُفرٍ باطنيٍّ، بل يشمَلُ ما ترتَّبَ عليه من مَظالمَ وشُرورٍ، واكتسابِ المَكروهاتِ والمَفاسد[3]، مع التَّنبيه على أنَّ كُفرَ الكافرين كان بسببِ إجرامهم، ولو لم يكونوا مُجرمين لآمَنوا واتَّبعوا الحقَّ المُبين.

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 18/ 337.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 215.
(3) الرّاغب، المفردات: (جرم).

دلالة جمع (سُعُر):

المُـجـرِمـونَ في درجـاتٍ مِـنَ النّار، وطبَقاتٍ مِنَ الشَّقاء

كلمة (سُعُر) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ﴾ جمع (سعير) - على قولٍ في التَّفسير - وهو أحد أسماء النّار المُشتعِلة شديدةِ الاتِّقاد. وفائدةُ الجمعِ الدَّلالةُ على قوَّةِ العذاب وتنوُّعِه، فيُفيدُ أنَّ النّارَ الّتي هُم فيها ليسَت سَعيرًا واحدًا، بل أنواع مِنَ السَّعير المُتفاوتة.

فالجَمْعُ هنا للتَّكثير والمُبالغة في التَّفخيم والتَّهويل، فهُم في ألوانٍ مِنَ العذاب بحسب عِظَمِ جُرمِهم في أصل الشِّرك، وبحسب تفاوتِهم في مُدَدِ الأعمار وشناعة الآثار، مع أنَّهم لو كانوا في نوعٍ ودرجةٍ واحدةٍ مِنَ العذاب لَكفَتهُم، فكيف إذا اجتمعَت عليهم صُنوفٌ منه وطبقات.

بلاغةُ إفرادِ الضَّلال وجمعِ السُّعُر:

طريقُ الضَّلال الواحد يقودُ إلى مَصائرَ مُتعدِّدةٍ مِنَ الهلاك

أفردَ الضّلالَ وجَمَعَ السُّعُرَ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ الضَّلالَ واحدٌ في أصله، لكنَّه قادَهُم إلى أنواعٍ مِنَ العذاب (سُعُر)، فالضَّلالُ سببٌ مُفرَدٌ، لكنَّ تبعاتِه مُضاعَفةٌ شديدةٌ مُتشَعِّبَة.

توجيه تعلُّق الظَّرف في جملة ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ﴾:

الأمرُ بذَوق مَسِّ سَقر يكونُ يومَ السَّحب في النّار

الظَّرفُ في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ مُتعلِّقٌ بالقول المُقدَّر في ﴿ذُوقُواْ﴾؛ أي: ذوقوا مَسَّ سَقر يومَ سحبِكم في النّار، ولا يتعلَّقُ بـ﴿ضَلَٰلٖ﴾؛ لأنَّ الضَّلالَ هو حالَهم في الدُّنيا، على معنى أنَّهم كانوا في الدُّنيا في ضلالٍ وجُنونٍ لا يَعقلون ولا يَهتدون[1]. ولو كان المَقصودُ بالضَّلال الهلاكَ في الآخرة لكان قوله: ﴿وَسُعُرٖ﴾ تكريرًا له وتوكيدًا، والتَّأسيسُ خيرٌ منه[2]. فالبلاغة في الآية اقتضَت أن يكون

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 325.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 338/ 18.

﴿فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ حالًا دنيويًّا، و﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ﴾ مَشهَدًا أخرويًّا مُنفصِلًا في الزَّمن والمَقام؛ ليجمعَ التَّهديدَ بين حالهم في الدُّنيا وما يَنتظرُهم في الآخرة، بلا حشوٍ ولا تَكرار.

بلاغة استعمال مفردة السَّحب:

الدّار الآخرة تُذِلُّ المُستكبِرين، وتُهينُ المُجرِمين

جاء التَّعبيرُ بمُفرَدة السَّحب في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾؛ والسَّحبُ هو الجَرُّ بعُنفٍ مع إذلالٍ، ولا يُستعمَلُ في الأناسيِّ في حال مَن يُكرَّمُ أو يُؤخَذُ برفق. وكونُهم يُسحَبون يدلُّ على أنَّهم مُجبَرون، عاجزون، لا يَملِكون دفعًا عن أنفُسِهم، وهذا يُنافي كِبْرَهُم السّابق، وهو يدلُّ على تجدُّد الاتِّصالِ بالنّار كلَّما جُرَّ خَطوةً احترقَ مَوضِعٌ جديدٌ.

دلالةُ التَّعبير بحرفِ الظَّرفيَّة:

استُعمِلَ حرفُ ﴿فِي﴾ للإشارةِ إلى أنَّ السَّحبَ واقعٌ داخلَ النّار لا إليها، فهو عذابٌ في داخلها، وهذا يدلُّ على الإحاطةِ الكاملةِ بهم من كلِّ جانب، لا مَهربَ، ولا تخفيفَ.

نُكتة تَعديَة فعلِ السَّحب بحَرفِ الاستعلاء:

جاءَت تعديةُ فعلِ السَّحب بحرف الاستعلاء في قوله تعالى: ﴿يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾، لبيان قوَّة السَّحب، وأنَّ الوجوهَ قامَت مَقامَ الأقدامِ الحافية.

توجيهُ تخصيصِ الوجوه بالذِّكر:

مَـن رفـعَ وجهَه كِبرًا في الدُّنيا جُرَّ عليه في الآخرة

خصَّ النَّظمُ الكريمُ الوجوهَ بالذِّكر في قوله تعالى: ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾؛ لتصوير حالهم بغاية المَهانة والذُّلِّ؛ إذ كان مُقتضى الظّاهر أن يُسحَبوا على ظُهورِهم أو أقدامِهم؛ مُبالغةً في تصوير الهَوان والتَّحقير؛ وليدلَّ على أنَّ عذابَهُم يمَسُّ كرامتَهم ومكانةَ

وجوهِهم قبل أجسادِهم[1]، فوجهُ الإنسان أشرَفُ مَوضِعٍ فيه، والجَرُّ عليه هو أقصَى صوَر الإذلال، ففيه تذكيرٌ بمَوقِفِهم في الدُّنيا حين رفعوا رؤوسَهم تكبُّرًا على آياتِ اللّه، فجاء الجَزاءُ من جنسِ العمل[2].

مَوقِعُ جملة ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾:

أعظَمُ العذاب اجتماعُ الحِسّيِّ غيرِ المُتوقَّع بالمَعنويِّ غيرِ المُعتاد

قوله: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ مَقولُ قولٍ مَحذوف؛ أي: أنَّ تقديرَ الكلام: (يُقال لهم: ذوقوا مسَّ سَقَر)، والقولُ نفسُه مَحذوفٌ للعِلم به، ولأنَّه في سياق التَّهديد والوعيد؛ فالمَشهَدُ صار بليغًا في وضوحه، فلا حاجةَ إلى التَّصريح بالفعل (يُقال لهم). والجملةُ مِنَ القول المَحذوف والمَقولُ ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ؛ لتقرير نتيجة سحبِهم وإهانتِهم، فكأنَّه قيل: ها هو جزاؤهم الّذي يُقالُ لهُم في تلك الحال[3]. وحَذفُ القول فيه إيجازٌ وتهويلٌ للمَشهَد؛ لأنَّ الاهتمامَ صار بفعل ﴿ذُوقُواْ﴾ لا بالقائل.

بلاغةُ الاستعارة في لفظ الذَّوق:

الذَّوقُ مُستعارٌ لبداية الإحساس بالعذاب إجبارًا لا اختيارًا

لفظُ الذَّوق في قوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ مُستعارٌ للإحساس[4]؛ لأنَّ الذَّوقَ في الأصل هو إدراكُ طعم الشَّيء بالحاسَّة الخاصَّة في الفم[5]، وهنا لم يُردْ به حقيقةَ تذوُّقِ طعم؛ لأنَّ العذابَ ليس ممّا يُذاقُ في الفم. وإنَّما استُعير الذَّوقُ للإحساس بمَرارة العذاب وألمِه؛ لأنَّ الذَّوقَ من أقرب الحواسِّ وأشدِّها اتِّصالًا بالنَّفس، وأبلغِها أثرًا؛ فصار الذَّوقُ مَجازًا عن مُطلَقِ الإدراك أو الإحساسِ بالعذاب، وتحقيقُه أنَّ لفظَ الذَّوق مُستعارٌ لبداية الإحساس بالعذاب، كما أنَّ الذَّوقَ لبدايةِ الأكل، وعليه فالاستعارةُ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ، حيث

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 132، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 215.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 132، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 215.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 215.
(4) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 215.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذوق).

صُرِّح بلفظ المُشبَّه به (الذَّوق)، وأُريد به المُشبَّه (بداية الإحساس بالعذاب)، مع افتراق ذوق الدُّنيا عن ذَوق الآخرة، فالذَّوقُ في الدُّنيا لاختيار الأكل من عدمه، فإذا استساغَهُ المُتذوِّقُ أكلَ، وإلّا امتنعَ، وأمّا ذَوقُ مسِّ سَقَر فلا سبيلَ معه إلّا العذاب.

دلالةُ صيغة الأمر ﴿ذُوقُواْ﴾:

غرضُ الأمرِ إهانةُ المُخاطَبين، ومُجازاتُهم بأفعالِهم

الأمرُ في قوله تعالى: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾ مُستعمَلٌ مَجازًا في معنى الإهانة والمُجازاة[1]، فخرجَ عن معناه الأصليِّ - وهو الطَّلب - إلى معنًى آخرَ لغرضٍ بلاغيٍّ، وغرضُه الإهانة، كأنَّه قيل لهم: ﴿ذُوقُواْ﴾ إشعارًا لهم بالخِزي والهَوانِ على ما فعلوا، فالغرَضُ إهانتُهم بالأمر، لا طلب تحقيقِه منهم، والمُجازاةُ، فالمرادُ بقوله: ﴿ذُوقُواْ﴾ جوزيتُم بما كسَبتُم مِنَ الإجرام.

بلاغةُ المَجاز المُرسَل في لفظ المَسِّ:

التَّعبير بالمسِّ يُبرزُ شِدَّةَ العذاب وإحاطتَهُ بالمُجرِمين

استُعمِل المسُّ في قوله تعالى: ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ بمعنى الإصابة أو الوقوع في العذاب؛ أي: حلولِ العذابِ عليهم وإحاطتِهِ بهم، وليس المقصودُ اللَّمسَ الجُزئيَّ أو الخفيفَ كما في المَسِّ الحقيقيِّ، وهذا مَجازٌ مُرسَلٌ لعلاقة المُلابَسة أو المُسبِّبيَّة؛ لأنَّ الإصابةَ بالعذاب مُلازِمةٌ للمسِّ أو مُسبَّبةٌ عنه في العادة[2].

بلاغةُ الاستعارة المَكنيَّة:

نسبة المَسِّ إلى النّار تُجسِّدُ هَولَ العذاب وتجعلُ الجَمادَ فاعلًا مُؤذيًا

أُسنِدَ فِعلُ المَسِّ في قوله تعالى: ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾، وهو فعلٌ مُختَصٌّ بالذَّواتِ الحيَّة إلى سَقَر (النّار)، وهي جَمادٌ لا تُباشِرُ المسَّ حقيقةً؛ لتشبيه النّار بحيوانٍ حيٍّ يبطُشُ ويمَسُّ. فشُبِّهَت سَقَر بحيوانٍ حيٍّ يُباشِرُ الإيذاءَ بالمَسِّ، فأُسنِدَ إليها فعلٌ من أفعال الأحياء وهو (المَسُّ)، على سبيل الاستعارة المكنيَّة، حيث شُبِّهَت

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 216.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 18/ 338، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 216.

النّارُ بالحيوان المُؤذي، وحُذِفَ المشبَّه به (الحيوان)، ورُمِزَ إليه بلازِمِه (المَسّ) [1].

بلاغةُ المَجاز:

احتمالُ المَجاز العقليّ والمَجازِ بالحذف لتصويرِ هَولِ العذاب

أُسنِدَ فعلُ المَسِّ إلى النّار ﴿سَقَرَ﴾، والحقيقةُ أنَّ الفاعلَ المُباشِر للمَسِّ هو حرارةُ النّار ولهيبُها، لا النّار من حيث هي ذات، فالإسنادُ إلى النّار مَجازٌ عقليٌّ، باعتبارِها سببًا للمَسِّ لا فاعلةً له حقيقةً، ويوجَّهُ على المَجازِ بحَذفِ المُضاف وإقامةِ المُضافِ إليه مقامَه.

بلاغة اختيار مُفردة ﴿سَقَرَ﴾:

مُراعاة التَّدرُّج في التَّرهيب من عذاب النّار تصعيدٌ لسياق الوعيد

اختير التَّعبيرُ هنا في سورة القمر باسم ﴿سَقَرَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ٤٧ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾؛ مراعاةً للتَّدرُّج في رتبة العذاب مِنَ العامِّ إلى الخاصِّ، فقد قال: ﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ﴾، ثمَّ ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ﴾، ثمَّ ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾. فعبَّرَ بالوصف العامِّ (النّار) - ﴿يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ﴾، ثمَّ خَتَمَ بالتَّخصيص باسم ﴿سَقَرَ﴾، فالانتقالُ مِنَ النّار إلى سَقَر كشفٌ عن مرحلةٍ أفظَعَ وأخَصَّ في العذاب. كما أنَّ اختيارَ ﴿سَقَرَ﴾ يتهادَى مع التَّعبير بالمَسِّ، فكما سبق: المَسُّ يوحي باللُّطف في اللَّفظ، لكنَّه هنا جاء مع ﴿سَقَرَ﴾ لتكونَ المُفارَقةُ شديدةً، وهو أنَّ أقلَّ تماسٍّ مع ﴿سَقَرَ﴾ يُذيق أهوالًا لا تُحتمَلُ. فلو مَسّوها فقط لَذاقوا العذابَ الأقصى.

ولو قيل (مسَّ النّار) لفاتَت هذه المُفارقة؛ لأنَّ النّار قد يُتخيَّلُ لها درجات، أمّا ﴿سَقَرَ﴾ فهي أخصُّ اسمًا في الشِّدَّة، ولا يَخفى ما في ﴿سَقَرَ﴾ من توافُقٍ مع سائر فواصل السّورة. ولم يُذكر (جهنَّم)؛ لأنَّ اسمَ (جهنَّم) يُفيدُ الإقامةَ في المَقرِّ البعيد والقَعر السَّحيق، والسّياقُ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 92.

هنا في سورة القمر يُصوِّرُ مَوقِفَ السَّحب والذَّوق: ﴿يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ﴾، لا مَقرَّ الاستقرار بعد الحُكم عليهم، فناسبَ ﴿سَقَرَ﴾ الّتي تُبرزُ شدَّةَ الإحراق واللَّدغ بمُجرَّد المُماسَّة.

نوع الإضافة ودلالتها:

تضخيمُ أثرِ العذاب بإبراز المُلازَمة بين النّار وأذاها

الإضافة في قوله: ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ من إضافة المَصدر إلى فاعله على الظّاهر؛ أي: المسَّ الّذي تُباشِره سَقَر (النّار). والإضافة فيها إيجازٌ وتصويرٌ للمَشهَد؛ لأنَّ الإضافة هنا تولِّدُ قوَّةَ الإسناد، إذ تجعلُ (المسَّ) مُلازِمًا لـ﴿سَقَرَ﴾ كهويَّةٍ مُلاصقةٍ للنّار، فكأنَّ المسَّ لا يُرى إلّا صادرًا عنها، وكأنَّها ذاتٌ فاعِلةٌ واعيةٌ.

مَوقِع جملة ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾:

كلُّ ما يقع في الكون يجري بمشيئةِ الله وتقديرِه المُحكَم

جاء قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ استئنافًا بعد بيان الوعيد والهلاك الّذي أصابَ المُكذِّبين، وهو تذييلٌ لِما سبق؛ أي: خلاصةٌ جامعة تؤكِّدُ أنَّ ما أصابَ المُجرمين ما كان عبثًا، بل وفقَ حكمةٍ وقَدَرٍ، وهو تمهيدٌ وتوطئةٌ لِما بعدَه: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾؛ ليُبيِّنَ أنَّ تنفيذَ هذا القَدَرِ يجري بأيسر شيءٍ وأسرَعِه عند الله[1].

دلالة التَّعبير بحرفِ (إنَّ) ودلالته:

توكيدُ القضايا الكبرى يَهدمُ الأوهامَ ويوقِظُ الغافلين إلى حقائقِ الأفهام

أفادَ استعمالُ حرف التَّوكيد (إنَّ) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ توكيدَ الحقيقة العظيمة الّتي يُنكِرُها المُشركون لِما يقتضيه إنكارُ البعث والاستهزاء بإنزالِ العذاب، وهي أنَّ الله هو خالقُ كلِّ شيءٍ ومُقدِّرِه، فلا مَجالَ لادِّعائهم الاستقلالَ بقُدرةٍ أو دَفعِ عذابٍ. والاهتمام للفتِ انتباهِ السّامعين إلى خطورة ما يُقال؛ لأنَّ ما بعد (إنَّ) يتضمَّنُ قاعدةً كونيَّةً عُظمَى مُرتبطةً بمَصائِر العباد وأفعال الله في الكون. وهذا التَّوكيدُ والاهتمامُ مَقصودٌ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 216.

بهما: إبطالُ زعم المُشركين بقوَّتهم، كما سبق في قولهم: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾، وتعظيمُ شأن الوعد والوعيد (انهزامُهُم وتعذيبُهم، وانتصارُ المؤمنين وغَلبَتُهم - كِلاهُما حقٌّ ثابتٌ مُقدَّرٌ) [1].

نُكتة التَّعبير بأداة العُموم:

الأمـورُ مُـقـدَّرةٌ مِن خالِقِها دون تـخـصـيـصٍ أو استثناء

جاء التَّعبيرُ بلفظ العُموم ﴿كُلَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾؛ ليعمَّ جميعَ ما يقعُ في الكون، من هلاكٍ وعذابٍ، ومن نصرٍ ونَجاةٍ، ومن أسبابٍ ونتائجَ، ليُعلَمَ أنَّ كلَّ ما سبقَ ذِكرُهُ، وما سيأتي، ليس عن مُصادَفة أو ظُلم، بل بقدَرٍ مُحكَمٍ، فالعمومُ توكيدٌ لإنجاز الوعد والوعيد من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ بأيسَر ما يكون[2].

فائدةُ تقديم المَفعول على طريقة الاشتغال:

تـوكـيـدُ شـمـولِ الـخـلـقِ ومـنـعِ التَّوهُّم في المعنى

انتصبَ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ على المَفعوليَّة لـ ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ على طريقة الاشتغال[3] في قوله تعالى: ﴿كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، فـ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مَفعول به مُقدَّم. و﴿خَلَقْنَاهُ﴾: الفعل اشتغلَ بضميرٍ يعود على ذلك المَفعول (الهاء في خلقْناه ترجِعُ إلى ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾). فالفعلُ ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ مَشغولٌ بضمير المَفعول المُتقدِّم عليه[4].

وفائدةُ مجيء التَّركيب على طريقة الاشتغال تأكيدُ المفعول مرَّتين؛ **فأوَّلًا**: ذُكِرَ باللَّفظ الظّاهر ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾؛ ليقعَ في الذِّهن ابتداءً أنَّ المَقصودَ هو العُمومُ المُطلَقُ لكلِّ مَخلوق، **وثانيًا**: أُعيدَ ذِكرُهُ في صورة الضَّمير في (خلقْناه)؛ ليزدادَ التَّوكيدُ بأنَّ الفعلَ تعلَّقَ بهذا المَفعول بعينه. فحَصَلَ بذلك: التَّوكيد بالاشتغال.

ولتَجنُّب اللَّبسِ في المعنى. فلو قُدِّمَ الفعلُ، فقيل: (إنّا خلقْنا كلَّ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 216.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 15/ 144.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 219.
(4) ابن هشام، أوضح المَسالك: 2/ 139.

شيءٍ بقَدَرٍ) - ربَّما يُتوهَّم أنَّ (بقَدَرٍ) صفةٌ لـ (شيءٍ)؛ أي: إنّا خلقْنا كلَّ شيءٍ مُقدَّرٍ؛ (أي: مَخلوقًا مُقدَّرًا سلفًا). وهذا لا يفي بالغرض البلاغيِّ المقصود، لكن حين يأتي النَّظم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ يتَّصل الجارُّ والمجرور ﴿بِقَدَرٍ﴾ بالفعل ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ بلا فاصل، فيدلُّ على أنَّ الخَلقَ نفسَه كان بقَدَرٍ، لا أنَّ الشَّيءَ مُقدَّرٌ فقط.

ولتحقيق التَّوكيد بالأسلوب الكامل، فقد سَبَقَ ذِكرُ (إنَّ) في ﴿إِنَّا﴾؛ لتوكيد الخبر (الّذي هو نسبةُ الخَلق إلى اللّه)، ثمَّ جاء تقديمُ المَفعول به ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ وتكرارُهُ بالضَّمير؛ ليكونَ توكيدًا ثانيًا من جهة المَفعول به، فصار التَّركيبُ أبلغَ في توكيدِ النِّسبة، وتوكيدِ شمول الخَلق، وإظهارِ تمامِ الحِكمة في تقدير اللّه[1].

نوعُ الباء ودلالتُها:

أفعـالُ العباد تصدُرُ عن تقديرٍ سابقٍ ومَشيئةٍ نافذةٍ

الباء في قوله تعالى: ﴿كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ للمُلابَسة؛ أي: خلقْناه مُستقِرًّا ومُلتبِسًا بقَدَرٍ. فالجارُّ والمجرور ﴿بِقَدَرٍ﴾ في حكم المَفعول الثّاني؛ لأنَّه مَقصودٌ بالذّات في التَّركيب، فليس المرادُ الإخبارَ عن عموم الأشياء في مَخلوقيَّتها للّه، بل المراد الإخبار عن هيئة تلك الأشياء في مَخلوقيَّتها، وهو عدمُ انفكاكها حين خُلِقَتْ وحُصِّلَتْ عنِ العلم المحيط والتَّقدير الحكيم[2].

بلاغةُ التَّذييل ومناسبةُ التَّعقيب بالقَدَر:

الهلاك والنَّصر كِلاهُما واقعٌ بتقديرٍ سابقٍ

التَّعقيبُ بجريان كلِّ شيءٍ وفق قانون الأقدار في قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ بعد ذِكر أخبار الأمم السّابقة وإنذار الأمم اللّاحِقة، فيه تثبيتٌ للوعد والوعيد؛ فالمشركون يتوهَّمون أنَّ وعيدَ اللّه قد لا يتحقَّقُ عليهم، فجاءَتِ الآيةُ لتؤكِّدَ لهم أنَّه كما قدَّرنا الهلاكَ للأمم قبلَكُم، وقدَّرنا النَّصرَ للمؤمنين، كذلك قدَّرْنا ما

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 219.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 217.

أنتُم فيه وما سيُصيبكم، وفيه إبطالُ دعاوى القوَّة حين قالوا: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾، فجاءَتِ الآيةُ هنا لِتقولَ لهم: قوَّتُكُم نفسُها جزءٌ من خَلق الله وتقديره، لا تَملِكون أن تصنعوا لأنفُسِكم نصرًا إنْ لم يكُن مُقدَّرًا لكم، وفيه تذكيرهُم أنَّ السّاعةَ الّتي أوعِدوا بها هي بقَدَرٍ؛ فكما عُجِّلَ بالعذاب على المُكذِّبين السّابقين بقَدَرٍ، فالسّاعةُ نفسُها آتيةٌ بقَدَرٍ، فلا ينفعُكُم إنكارُها ولا استعجالُها، فهذا من وجوه تعقيب آيات الإنذار والعقاب المذكورة في هذه السّورة بالتَّذييل بقوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ بعد قوله: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾[1].

بلاغة العطف والتَّرتيب بين الجمل:

قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾؛ ووجهُ العطف ترتيبُ الثّانية على الأولى في بيان الحكمة والقُدرة؛ فالجملةُ الأولى: بيانُ الحكمة في التَّقدير، ببيان أنَّ الخلقَ كلَّه يجري بتقديرٍ دقيقٍ مِنَ الله ﴿بِقَدَرٍ﴾. والثّانية: بيانُ القُدرة في الإنجاز والإنفاذ بسرعةٍ لا يُدركُها البشرُ ﴿وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾، فأفاد العطفُ ترتيبَ سرعة الإنجاز على الخَلق والتَّقدير، بغرَض التَّهديد والوعيد، فكما حصلَ ما حصلَ للسّابقين يحصلُ للّاحقين، وفي الجمع بين هاتين الجملتين وتواليهما على هذا التَّرتيب تكميلٌ للبرهان وتقويةٌ للحُجَّة، بأنَّ كلَّ خَلْقٍ وُجِدَ على المِقدار المُحكَم ناجِزًا على الفَور في وقته المُقَدَّر.

التَّقديرُ الإلهيُّ يجري بحكمة، وتنفيذُه يقعُ بلمحة

دلالة التَّقييد بوصف: ﴿وَاحِدَةٌ﴾:

لفظُ ﴿وَاحِدَةٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾ صفةٌ لموصوفٍ مَحذوفٍ، يُقدَّرُ على التَّأنيث للمُطابقة بين الصِّفة والموصوف؛ أي: إرادةٌ واحدةٌ أو كلمةٌ واحدةٌ، وهي كلمة الإيجاد

إرادةُ الله واحدةٌ تُنفِذُ أمرَهُ دون تثنيةِ أمرٍ

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 217.

(كُن)، كما في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾ [يس: 82][1]، وفي التَّعبير به إشارةٌ إلى أنَّ أمرَ الله لا يَحتاجُ إلى تَكرارٍ أو إلحاحٍ أو مُعالجاتٍ مُتعدِّدةٍ، بل هي كلمةٌ واحدةٌ أو إرادةٌ واحدةٌ تقع بها الأشياء؛ ففي القيد الوصفيِّ تأكيدٌ على النّجازَةِ القاطعة الّتي لا يَشوبُها تعطيلٌ ولا اعتراضٌ.

بلاغةُ القصرِ ونوعُه وغرَضُه:

أمرُ الله نافذٌ لا يتردَّد وُقوعُه ولا يتأخَّرُ حُصولُه

في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ قصرٌ بطريق النَّفي والاستثناء، وهو أقوى طرُق القصر، والقصرُ حقيقيٌّ، إذ لا يتعدَّدُ ولا يتكرَّرُ، إنَّما هو كلمةٌ واحدةٌ تنفذُ، وهو قصرُ موصوفٍ على صفة؛ أي: قصرُ أمرِهِ تعالى على كَونهِ مرَّةً واحدةً فقط، بغير تعدُّدٍ، وغرَضُه الظّاهر إبطالُ توهُّم المُعانِدين؛ فقد يظنّون أنَّ إقامةَ السّاعة أو الإهلاكَ يحتاج وقتًا وتدرُّجًا، فنُفي ذلك بقصر الأمر على المرَّة الواحدة السَّريعة. وتثبيتُ عِباد الله المؤمنين بإظهار كمالِ قُدرة الله لهم، فيَستبشرون بذلك؛ فلا يَستبطِئونَ نصرًا، ولا يَستكثِرون صبرًا، ولا يَتعاظمونَ أمرًا.

بلاغة التَّشبيه ونوعُه:

التَّشبيهُ المُجمَلُ يُطوَى فيه وجْه الشَّبه؛ ليزيدَ من قوَّة المَشهَد

التَّشبيه في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ﴾ مُرسَلٌ مُجمَلٌ ذُكِرت فيه الأداةُ، وحُذِف منه وجهُ الشَّبه، ولم يُصرَّحْ به في اللَّفظ، لكنَّه مَفهومٌ مِنَ السّياق، وهو السُّرعة أو الفجاءة. وتتجلَّى بلاغةُ التَّشبيه في إيضاح سرعةِ نفاذ الأمر الإلهيِّ بتشبيهِه بشأنٍ مَحسوسٍ عند النّاس جميعًا، وهو لمحُ البصر؛ أي: حركةُ الجفنِ حين يفتحُ أو يُغمضُ العينَ. وهذا أدقُّ ما يكون في السُّرعة، فلا يكادُ يُحَسُّ به. وفي التَّشبيه تقريبُ المعنى الغيبيِّ للمُخاطَبين، فتنفيذُ أمر

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 220.

اللّه لا يحتاجُ إلى زمنٍ ولا مُعالجةٍ ولا تدرُّجٍ، فجاء التَّشبيهُ بأسرَع ما تُدركُهُ الحواسُّ؛ ليُقرِّبَ للذِّهن سرعةَ نفاذِ المَشيئة[1].

بلاغةُ الكناية في لفظ ﴿لَمْحٍ﴾:

تشبيهُ سرعةِ الأمرِ الإلهيِّ بلمحِ البصَر تقريبٌ للسُّرعة لا تحقيقٌ لزمانها؛ فهي أقرب

آثرَ النَّظمُ الكريمُ استعمالَ مُفردة ﴿لَمْحٍ﴾ لإثارة الخوف والتَّحذير ببيان سرعة وقوعِ الأمر؛ لأنَّ التَّشبيهَ يوحي بالمُباغتة والدَّهشة، فيُحذِّر السّامعَ أنَّ العذابَ قد يُدرِكُهُ فجأةً قبل أن يَشعُرَ، وهي بالغة التَّأثير؛ ففي كلمةٍ واحدةٍ (لمح البصر) جمعَت صورةَ الحركة وسُرعتَها وفجاءَتَها بما يَعجِزُ عنه الوصفُ الطَّويلُ، والمرادُ باللَّمح مُطلَقُ اللَّمح السَّريع، فالمقصود كنايتهُ عن صفة السُّرعة لا زمن اللَّمح، فالمقصودُ تقريبُ سرعة إنفاذ الأمرِ الإلهيِّ لا تحقيقه، وهذا مُقتَضَى التَّشبيه.

نوعُ الباء ودلالتها:

البصَر سببُ اللَّمح، فمَن لم يُبصِرْ لم يَلمحْ

الباء في قوله تعالى: ﴿كَلَمْحِ بِٱلْبَصَرِ﴾ باءُ الآلة أو المُلابَسة، كأنَّه قيل: لمحٌ أداتُه أو آلتُه البصر. أو لمحٌ ملابِسٌ للبصر، والمقصود هنا أدنى مُلابسة؛ أي: سرعة أمرِ اللّه كسُرعة لمحةٍ تحصُلُ عند أقلِّ تماسٍّ مع البصَر؛ أي: في اللَّحظة الخاطفة الّتي يقعُ فيها اللَّمحُ بالبصَر، سواءً كان لَمْحًا بانتباهٍ وطواعيةٍ أم كان عفويًّا لا إراديًّا.

توجيهُ المُتشابه اللَّفظيِّ:

دقَّة التَّعبير بباء المُلابسة تُصوِّرُ المُباغتةَ الإلهيَّةَ في أوضَح صورة

جاء التَّعبيرُ بإضافة اللَّمح للبصر بدون ذِكر الباءِ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النّحل: 77]، وفي سورة القمر ذُكِرَتِ الباءُ ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾؛ لأنَّ المَقامَ في سورة النَّحل أخفُّ، فناسبَه التَّركيب الأخفُّ والأخصَر، إذْ في الإضافةِ تخفيفٌ وطيٌّ، ومن حيث المعنى، فالإسنادُ حاصلٌ إلى السّاعة ﴿وَمَآ

(1) أبو حيّان البحر المحيط: 10/ 49، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 221.

﴿أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [النّحل: 77]؛ وهي موجودٌ مخصوصٌ من أمر الله، وأمّا في القمر فالإسنادُ إلى نونِ الذّات العليَّة ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ﴾، والأمرُ هنا أعمُّ مِنَ السّاعة، فالمقصودُ عُمومُ أوامر الله الّتي تقع فجأةً، أيًّا كانَت ماهيَّتُها، فكان المعنى هنا أثقلَ، فاقتضى زيادةَ التَّركيب. ومن حيثُ تبايُن السّياق: فسياقُ سورة النَّحل عنِ السّاعة ذاتِها، والمَقامُ مَقامُ تقرير سرعةِ وقوعِ السّاعة حين يأذنُ الله بها، فجاء التَّشبيهُ بخِفَّةٍ وسلاسةٍ ﴿كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾ [النّحل: 77]؛ لأنَّ الغرضَ تصويرُ السُّرعة المَعهودة عند السّامع دون تعقيدٍ، بما يناسبُ الحديثَ عن يوم القيامة الّذي هو مَعلومٌ عند النّاس عِظَمُ شأنِه، ولكنَّهم بحاجةٍ إلى تأكيد سرعته. وأمّا في القمر ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾ فالمَقامُ هنا أبلغُ وأشدُّ تهويلًا؛ لأنَّ الحديثَ في سياق الوعيد بالعذاب الّذي يأخُذُ الكافرين فجأةً، ولذلك لم يقُل هنا: (أمر السّاعة)، بل قال: ﴿أَمْرُنَآ﴾؛ أي: فِعلُنا وإيقاعُنا للأمر أيًّا كان: (ساعة، عذاب، هلاك). فاستعمل ﴿كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾؛ لأنَّ المَقامَ مَقامُ تهويلٍ وتخويفٍ، والتَّعبيرُ بالبصر كآلةٍ للَّمحِ أدَقُّ في تصوير المُباغَتة، وأشدُّ في تحذير المُخاطَبين، وأقربُ إلى ترسيخ صورةِ سرعةِ نفاذِ الأمرِ الإلهيِّ.

مَوقِعُ جملة ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ ممّا قبلها:

جملة: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ استئنافيَّةٌ في مَوقِع النَّتيجة لِما سبقَها من تقرير أنَّ إهلاكَ المُكذِّبين أمرٌ مُقدَّرٌ مُحكَمٌ، يتمُّ بسرعةٍ لا تخطرُ ببالٍ، وهو واقع بكم إنْ لم تَعتبروا، فجاء قوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ بعد قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ﴾؛ ليُريَهُم مِصداقَ هذا النِّظام الإلهيِّ في الأمم المُكذِّبة قبلهم، وليُحمِّلَهم مسؤوليَّةَ الاعتبار بقوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾[1].

تأكيدُ الإهلاك الماضي تحذيرٌ من إهلاكٍ حاضرٍ ينتظرُ المُكذِّبين

(1) صافي، الجدول: 14/ 85، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 222.

فائدةُ توكيد الخبر بلامِ القسَم و(قد):

تنزيلُ المُخاطَبين مَنزلةَ المُنكِرين ليقعَ التَّهديد والوعيدُ على بابه

توكيدُ الخبر في قوله: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ﴾ بلام القسم، و(قد) لتنزيل المُخاطَبين مَنزلةَ مَن يُنكِرُ ذلك؛ لأنَّ شأنَ العالم الارْعِواءُ عن غيِّه؛ فغرَضُ التَّوكيد تهديدُ المُخاطَبين ووعيدُهم بأنَّه قد يَنزِلُ بهم ما قد نزل بأشباههم وأشياعِهم مِنَ الأمم السّابقة.

بلاغةُ الالتفات مِنَ الغَيبة إلى الخطاب:

الخطابُ بعد الغَيبة أبلغُ في إيقاظِ الغافلين وتسجيل الحجَّة عليهم

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ عَدلَ فيه إلى الخطاب بعد أن كان النَّظمُ على أسلوب الغَيبة في قوله: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ ۝٤٧ يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾، ومَرجِعُ الضَّمائر في النَّظم غَيبةً وخطابًا راجعٌ إلى المُشرِكين لظهور أنَّهم المَقصودُ بالتَّهديد، وهو - أي الخطاب المَعدول إليه - تصريحٌ بما تضمَّنه قولُه: ﴿أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ﴾[1]، فقد جعلَهم ومَن قبلهم مِنَ الأمم المُكذِّبة السّابقة سواءً في أصلِ الكُفر والعمل، وهنا جعلَهُم ومَن قبلهم سواءً في استحقاقِ الهلاك، وهذا الالتفاتُ مَقصودٌ لإثارة انتباههم وإيقاظِ غَفلتهم؛ فهو أدعى للتَّأثير في نفوسهم حين يواجهُهم بالخطاب بعد أن كانوا غائِبينَ عنه.

نكتة إضافة الأشياعِ إلى ضمير المُخاطَبين:

الأمم الهالكة جزءٌ مِنَ المُخاطَبين في المَنهَج والطَّريق

أُضيفَ لفظُ الأشياع إلى ضمير المُخاطَبين في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾؛ لجَعل الهالِكين مِنَ الأمم السّابقة مُتَّصلين بالمُخاطَبين أنفسِهم؛ لأنَّ أولئك الأشياع كانوا على شاكِلتهم في الكُفر والمُعاندة؛ فجاءَتِ الإضافةُ لتقريب صورةِ الهلاكِ منهم، وتكثيفِ شُعور التَّهديد؛ والمعنى: (هلاكُهُم هو إنذارٌ لكم، وأنتُمُ امتدادٌ لهم في الضَّلال).

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 222.

بلاغةُ اختيار لفظ الأشياعِ دونَ الأتباع:

السّابقون مِنَ الأمم شايَعوا اللّاحقين في مَسلَكِهم فكانوا لهم سنَدًا في الباطل

اختيرَ لفظُ الأشياعِ دون الأتباع في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾؛ للدَّلالة على العصبيَّة والانتشار، فالأمرُ ليس مُجرَّدَ تبعيَّةٍ (كما في الأتباع)، ولا مُجرَّد مُشابَهة في الجوهر (كما في الأشباه)، بل قريشٌ ومَن حولها امتدادٌ لأُممٍ سبقَتهم، لهم شيعٌ وأحلافٌ وانتشارٌ وقوَّةٌ كما كان لأولئك السّابقين.

فجاءَت كلمة (الأشياع) ليَفهموا منها أنَّهم ليسوا استثناءً، بل أنتم فِرَقٌ مُتعصِّبةٌ مُمتدَّةٌ من سلاسل الكافرين السّابقين، ومَصيرُكم كمَصيرِهم. وهذا يتناسبُ مع سُنن الهلاك المُتكرِّرة في السّورة؛ لأنَّ لفظَ (الأشياع) يَربطُ حاضرَهم بماضي أممٍ كثيرةٍ؛ كأنَّهم شيعةٌ لأولئك في الضَّلال. فكأنَّه قيل: (أهلكْنا نُظراءَكم مِن قبلُ، وهم أقوى منكم وأكثرُ عددًا، فكيف بكم؟). فمادَّة ذلك اللَّفظ تُبرِزُ عاملَ الاستقواء بالسَّوابق؛ إذِ المُشركون بمكَّةَ كانوا يَتواصَون بالتَّكذيب، ويَستندون إلى أنَّ هذا هو حالُ الأمم قبلكم، فناسَبَ أن يُسلَبوا هذا الشُّعورَ بالقوَّة؛ بالتَّصريح أنَّ هؤلاء الأشياع الّذين تَقوَّيتُم بذِكرِهم قد أُهلِكوا قبلَكم، فلم يقُل: (الأتباع)؛ لأنَّه أضعفُ معنًى، إذ يدلُّ على مُجرَّدِ اللَّحاقِ بلا إشعارٍ بالقوَّة والانتشار.

دلالة المَجاز في لفظ ﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾:

المُشابَهة في الكُفر تورِثُ المُشابَهة في المصير

استُعمِلت كلمة ﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾ للازمِ معناها، فلم يُقصَد بها الأتباعُ بالنُّصرة، بل المُشابِهون للمُخاطَبين في الكُفر والضَّلال، فانتقل من معنى (الأتباع المُتناصِرين) إلى (المُشابِهين في الكُفر)، وهذا أقربُ إلى المَجاز المُرسَل بعلاقة المُلابَسة أو المَعنى المُلازم[1].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 94.

بلاغةُ الاستعارة في كلمة ﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾:

تأكيدُ الإهلاك الماضي تحذيرٌ من إهلاكٍ حاضرٍ ينتظِرُ المُكذِّبين

في قوله: ﴿أَشْيَاعَكُمْ﴾ شُبِّهَ المُكذَّبون بالأشياع؛ لأنَّهم كانوا مُتناصِرين على الكُفر والباطل كما يتناصر الأشياعُ بعضُهم بعضًا. وقيل: الكلمة على حقيقتها؛ أي: أتباعُكم في الكُفر مِنَ الأمم السّابقة[1].

دلالة تفريعِ جملةِ الاستفهام على الخبر:

مَقصودُ الإخبارِ تحقيقُ التَّهديد والاعتبار

جاءت جملةُ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ تفريعًا على قوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾؛ لتكونَ دالَّةً على إرادة الاعتبار وطلب الادِّكار، فيدلُّ ذلك على أنَّ التَّأكيدَ ليس لبيانِ الخبر ذاتِه، بل لِما وراءَ الخبر مِنَ التَّهديد والتَّعليم[2].

بلاغةُ العطف بين الجُمل:

قياسُ الشّاهد على الغائب في عالم الشَّهادة مَجلَبةٌ للاعتبار

جملة: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ عطفٌ على قوله: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ﴾، فالضَّمير في ﴿فَعَلُوهُ﴾ يعود إلى الأشياع[3]. فالعطفُ هنا يُرتِّبُ المعانيَ؛ لتأكيد أنَّ هذا الإهلاكَ لم يكُن نهايةَ الأمر، بل كلُّ أعمالِ هؤلاء الأشياعِ قد كُتِبت لِتكونَ مَحلًّا للمُحاسبة والجزاء في الآخرة، وفيه تهديدٌ ضمنيٌّ بأنَّ أعمالَ الكافرين مَحفوظةٌ عليهم، لا تُنسَى ولا تُهمَلُ، فكما أنَّ كلَّ شيءٍ فعَلَه السّابقون مَحفوظٌ، فكذلك أفعالُ المُخاطَبين هي مَحفوظةٌ.

فائدةُ الابتداءِ بلفظ العموم:

شمولُ الحساب واستيعابُ الجزاء لكلِّ عملٍ

الابتداء بلفظ العموم في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ فيه نكتةٌ بديعةٌ، إذ يقرِّرُ من أوَّل الكلام شمولَ الإحصاء لكلِّ عملٍ من غير استثناء، فلا يغيبُ صغيرٌ ولا كبيرٌ، ولا سِرٌّ ولا عَلَنٌ. فجاء لفظُ (كلّ) في صدر الآية ليدفعَ الوهمَ ابتداءً أنَّ بعضَ الأفعال يُنسَى

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 94.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 222.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 223.

أو يُهمَلُ، ويُؤكِّدُ أنَّ كلَّ ما يَصدُرُ عنهم قد أُثبِتَ في صُحُف الأعمال وألواحِ الكتَبَة، يَنتظِرُهُم ذلك عند الحساب.

دلالةُ التَّعبير بلفظِ ﴿شَيۡءٖ﴾:

الإحاطةُ بأفعال العبادِ بعُمومٍ مُطلَقٍ

لفظ ﴿شَيۡءٖ﴾ اسمٌ يدلُّ على جنسٍ عالٍ موغِلٌ في التَّنكير والعُموم، كموجودٍ وكائنٍ وأمْر، وقد يتخصَّصُ بالوصف أو بالعادة والعقل[1]؛ فأفاد في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ التَّهويلَ مع الإطلاق؛ أي: أيُّ شيءٍ كان صغيرًا أو كبيرًا، ظاهرًا أو خفيًّا، حقيرًا في أعيُن النّاس أو عظيمًا في نظرِهم، فهو مَكتوبٌ مَحفوظٌ؛ فجاء اللَّفظُ ليُشعِرَ بأنَّ جنسَ أعمالهم كلَّه داخِلٌ في الإحصاء بلا استثناء، فلا يغيبُ عنه أدنى أثرٍ من آثارهم.

بلاغةُ استعمال مفردةِ الفعلِ دون مُقارباتها:

اشتمالُ الحساب لجميع الأفعال، ومُناسبةُ ألفاظ السّياق

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بفعل ﴿فَعَلُوهُ﴾ دون (عملوه) أو (صنعوه)؛ ليشمَلَ كلَّ ما صدرَ عنهم كائنًا ما كان، فالقرآنُ يُريد الإحاطةَ بكلِّ ما بَدَرَ منهم بلا قيد، فجاء باللَّفظ الأعمِّ، ولاسيَّما أنَّه واردٌ في مَقام التَّسجيل والمُحاسبة والتَّوبيخ، فليس المُرادُ مَدحَ العمل أو وصفَهُ بالإتقان، فلا يُقالُ: (صنَعوه)، وإنَّما مُجرَّدُ حَصرِ ما وقَعَ منهم وتثبيتُه في الزُّبُر. ولو قيل (عمِلوه) لربَّما أوهَمَ أنَّ المُرادَ ما كان فيه قصدٌ وإرادةٌ واضِحةٌ، بينما هناك أشياء يُحاسَبُ عليها الإنسانُ قد تقعُ بغير قصدٍ جليٍّ، فجاء بفعلٍ ﴿فَعَلُوهُ﴾ ليَشمَلَ الجميعَ، كما أنَّ في ﴿فَعَلُوهُ﴾ تناسُبًا تامًّا مع قوله: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٞ﴾؛ أي: التَّسجيل والحَصر الشّامل؛ فاختيرَ لذلك لفظٌ شامِلٌ أيضًا، وهو ﴿فَعَلُوهُ﴾.

بلاغةُ الكناية ودلالتُها:

تعلَّقَ الجارُّ والمَجرورُ ﴿فِي ٱلزُّبُرِ﴾ بمحذوفٍ خبرٍ مُقدَّرٍ من جنسِه؛

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 173.

الكتابةُ في الزُّبُر تهديدٌ بالمُحاسَبة والعقاب

أي: كلُّ شيءٍ فعلوهُ مَكتوبٌ في الزُّبُر[1]، فمعنى قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾؛ أي: كلُّ أعمالهم مَكتوبةٌ في الكُتُب وصحائف الأعمال مع الحَفَظَة الكاتِبين، وليس الغرضُ البلاغيُّ مُجرَّدَ الإعلام بأنَّ أعمالَهُم مَكتوبةٌ، وإنَّما التَّهديدُ بأنَّ هذه الكتابةَ ليسَت عَبثًا، بل هي للمُحاسبة عليها، فالإخبارُ بأنَّ أفعالَ المُتقدِّمين مكتوبةٌ هو التَّهديد بتعيين مَصير المُخاطَبين بعد الإخبار بمَصير الغابرين.

أسلوب التَّعريض في الخبر:

التَّعريض بحفظِ الأعمال أدعَى إلى الرُّعب والاعتبار

الإخبارُ بقوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ يحملُ تعريضًا وتهديدًا لمُشركي العرب، بأنَّهم لن يُفلتوا بعذاب الدُّنيا وحدَه بإيقاع الهزائم بهم على أيدي الرَّسول والمومنين، بل أمامهم حسابٌ دقيقٌ ومُساءلةٌ لا تُغادِرُ صغيرةً ولا كبيرةً. والتَّعريض هنا أشدُّ وقعًا مِنَ التَّصريح؛ لأنَّه يَجعَلُ المُخاطَبين يَتوقَّعون العاقبةَ الأشدَّ بأنفسهم، بما يُدخِلُ الرُّعبَ في قلوبهم خفْيَةً؛ ليُتيحَ لهم المُراجعةَ وتقليبَ النَّظر والادِّكار في حالٍ مِنَ التَّفكُّر الصّامت الّذي يَقطَعُ عنهم العُذرَ، ويُسجِّلُ الحُجَّةَ عليهم[2].

بلاغةُ الكناية ونوعُها:

المحاسبةُ الإلهيَّة تشملُ كلَّ عملٍ صغيرٍ وكبيرٍ دون إغفال

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٞ﴾ كنايةٌ عنِ الإحاطة التّامَّة لعِلم الله بأعمالهِم، وكنايةٌ عن صفة الجزاء؛ لأنَّ الكتابةَ هنا لازمةٌ للحساب، والحسابُ لازمٌ للعقاب أو الثَّواب، ولهذا كان في الآية تبشيرٌ لِمَن أحسَنَ؛ لأنَّ عملَهُ الصَّغيرَ والكبيرَ مَرصودٌ، فلا يَضيعُ أجرُهُ، وإنذارٌ لِمَن أساء؛ لأنَّ ذنوبَه العظيمةَ والصَّغيرةَ مَحفوظةٌ عليه[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 135، والخطيب وآخرون، التّفصيل في إعراب التّنزيل: 27/ 179.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 223.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير.: 27/ 224.

بلاغة الاستعارة في لفظتَي ﴿صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾:

تصويرُ الأعمال في مَراتِبَ حسّيَّةٍ لتخويف المُخاطَبين من نزول البليّة

في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ استعارةٌ بديعةٌ، إذ أطلقَ لفظَ الصَّغير والكبير على الأعمال، مع أنَّ حقيقتَهما في الأجسام. فشُبِّهَتِ الأعمالُ بأجسامٍ لها حَجمٌ يُقاس بالصِّغر والكِبر، ثمَّ استُعير هذان اللَّفظان للدَّلالة على تفاوت الأفعال قلَّةً وكَثرةً، أو حقارةً وعِظَمًا في ميزان الحساب، على سبيل الاستعارة التَّصريحيَّة، وفائدتُها عِظةٌ بليغةٌ للإنسان بأنَّ كلَّ ما يَصدرُ عنه – مهما دَقَّ أو جَلَّ – مُحصًى مَكتوبٌ، لا يغيبُ منه شيءٌ.

بلاغة الطِّباق بين ﴿صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾:

إحاطةُ الكتاب بكلِّ الأعمال دون استثناء

في قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ وقعَ الطِّباقُ بين ﴿صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾؛ ليجمعَ طرفي التَّفاوت، فيدلّ على الشُّمول والإحاطة التّامَّة بجميع الأعمال، فلا يَغيبُ منها دقيقٌ ولا جليلٌ؛ فالطِّباقُ ليس لِمُجرَّد التَّضادِّ اللّفظيِّ، بل لتحقيق مَعنى الاستقصاء والكمال في الإحصاء، فتترسَّخُ في الأنفس هيبةُ المَوقِف، وتَنبعِثُ بوازع اليقظة والمُحاسبة.

بلاغةُ استعمال مفردة ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾:

التَّنبيه على الأسطُر ذات التَّفصيل الجزئيّ والإحاطة الكلّيّة

استُعملَت مُفردة ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ بدلًا من لفظ (مكتوب)؛ وذلك لأنَّ ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ يدلُّ على الأسطر، والأسطرُ هي عبارةٌ عن جزئيّاتِ المَكتوب الكُلّيِّ، فكلُّ سطرٍ فيه أعمالُ الإنسان، فعلى هذا هي توكيدٌ لمعنى الإحاطة والشُّمول في قوله: ﴿صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾، فهو مكتوبٌ بإحكام ونظام وتوثيقٍ لا يُغفَلُ منه شيءٌ، كما يُسطِّرُ الكاتبُ في السِّجلِّ بدِقَّةٍ، ووزنُ (مُفتَعَل) يدلُّ على قوَّة الفعل والمُبالغة في إحكامه. ففي اللَّفظ تَجَلٍّ لصورةٍ بصريَّةٍ قويَّةٍ للكتابة المُنَظَّمَة، حيث الأعمالُ مُدوَّنَةٌ في سِجلٍّ عظيمٍ مَحفوظٍ لا يُنسَى منه شيءٌ[1].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 135.

بلاغةُ جملة التَّذييل:

توكيدُ المعاني لدى أهل الغفلة رأفةٌ من صاحب الرَّحمة

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ كالتَّذييل لقوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾، وهذا التَّذييلُ تعميمٌ بعد تخصيص، وتأكيدٌ بعد تأسيس، ليشملَ كلَّ ما يمكنُ أن يَندرِجَ تحت وصف الأعمال، سواءً كان صغيرًا من أعمال القلوب والخَطرات والهَمسات، أو كبيرًا مِنَ الجنايات العظيمة والجرائم البارزة، وهذا أبلغُ في شُمول المُحاسبة والجزاء، وعليه فجُملة ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ﴾ بعد قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ من باب عطفِ العامِّ على الخاصِّ[1].

مَوقِع جملة ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ ممّا قبلها:

بلاغةُ تتميمِ الجزاء - في ذِكر البِشارة بعد النِّذارة - من سُنَنِ البلاغة

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ وقَعَ استئنافًا بيانيًّا؛ لأنَّ السّامِعَ بعد أن تكرَّرَ في السّياق ذِكْرُ المُجرِمين وعذابِهم وهلاكِ أشياعِهم، وذُكِرَ أنَّ كلَّ صغيرٍ وكبيرٍ مُستَطَرٌ، صار مُتشوِّقًا إلى سَماعِ خبرِ مُنقَلَبِ الطَّرفِ الآخر؛ وهم المُتَّقون. فالآية تُجيبُ على سؤالٍ مُقدَّرٍ في النَّفس: فما حالُ المُتَّقين إذن؟ فحين ذُكِرَ أنَّ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ كان ذلك شاملًا لأعمال المُجرمين والمُتَّقين، فاقتضى المَقامُ بيانَ أنَّ الجزاءَ لا يَقتَصرُ على العقاب، بل هناك ثوابٌ كذلك. فجاءَتِ الآيةُ ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ لتُتمَّ المعنى في الجمع بين التَّرهيب والتَّرغيب؛ ليكتملَ مَقصودُ الهداية، ويُراعَى حالُ السّامِع، حتَّى لا يَقتَصر ذهنُهُ على صورة الهلاك، بل يرى في المُقابل رحمة اللّه وعدله[2].

نُكتةُ افتتاحِ الجملةِ بحرف التَّوكيد:

توكيدُ النَّعيم تثبيتٌ لقلوب المتَّقين، وزَعزَعةٌ لقلوبِ المُشرِكين

افتُتِح قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ بحرف ﴿إِنَّ﴾؛ للاهتمام بمَضمون الخبر وتوكيده[3]؛ ليُقارِبَ ما جاء في قوله تعالى:

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 224.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 175، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 224.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 224.

﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٖ﴾؛ وللدَّلالة على أنَّ هذا الجزاءَ أيضًا مُقدَّرٌ ومَكتوبٌ، كما قُدِّرَ عذابُ المُجرِمين، ولتأكيد المعنى المُنكَرِ عند المشركين، وزيادةِ طمأنةِ للمؤمنين.

دلالةُ التَّعبير بحرفِ الظَّرفيَّة:

حرف الظَّرفيّة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ﴾ بمعنى (التّلبُّس القويّ)؛ أي: أنَّهم مُتلبِّسون بهذا النَّعيم تلبُّسَ المَظروفِ بظرفِه، مُلازمون له، مُحيطٌ بهم من كلِّ جهةٍ إحاطةَ الظَّرف بما في داخله[1].

نعيمُ الآخرة مُستغرِقٌ مُحيطٌ بأصحابه

فائدة عطف ﴿وَنَهَرٖ﴾ على ﴿جَنَّٰتٖ﴾:

أفادَ عطفُ ﴿وَنَهَرٖ﴾ على ﴿جَنَّٰتٖ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ﴾؛ ليدلَّ على أنَّه ليس المَقصودُ الإخبارَ بأنَّ المُتَّقين ساكنون في الجنّات فقط، وليس المرادُ أنَّهم مُنغمِسون في الأنهار، إذ لم يكُنْ هذا ممّا يتطلَّعُ إليه السّامِعون أو يَتصوَّرونَهُ كنعيم، بل المرادُ أنَّهم في نعيمٍ يَجمَعُ بين لذَّةِ الجنّات بظِلالها وثمَرِها ومَساكِنها، ولذَّةِ الأنهار بجَرَيانها وبهجَتِها ومائها العَذب، فهُم مُتلبِّسون بالنَّعيم النّاشِئ عن اجتماعِ هذين الأمرَين، ولذا حُذِفَ المضافُ وأُبقيَ على الظَّرف للدَّلالة على شدَّة المُلابسة؛ والمراد: في نعيمِ جنّاتٍ ونعيمِ نهَرٍ، أو نعيمٍ مِن جنّاتٍ ومِن نَهَر[2].

ذِكرُ الأنهار بعدَ الجِنان تكميلٌ لبيان النَّعيم

نُكتة جمع ﴿جَنَّٰتٖ﴾ وإفراد (نَهَر):

جاء التَّعبيرُ بصيغة الجمع للفظ ﴿جَنَّٰتٖ﴾ للإشارة إلى عِظَم شأنِها، وسعتِها، وتعدُّدِ أنواعِها وأصنافها، فهي ليسَت جنَّةً واحدةً بل جنّات مُتنوِّعات، وهذا أوقعُ في النَّفس وأبلغُ في تصوير كثرة النَّعيم وتعدُّدِه.

أنهارُ الجنَّة كثيرةٌ مُتشابهةٌ لها حكمُ النَّهر الواحد في نَعيمِه

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 225.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 225.

بينما جاء لفظ ﴿وَنَهَرٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾ بصيغة المُفرد، وهو اسمُ جنسٍ أُريدَ به الجمعُ؛ أي: (أنهار) كقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [غافر: 67]؛ أي: أطفالًا، وقوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفُرقان: 74]؛ أي: أئمَّةً، وقوله تعالى: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [النّساء: 4]؛ أي: أنفسًا، وقوله تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النّساء: 69]؛ أي: رُفقاء، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التّحريم: 4]؛ أي: مُظاهِرون[1]. كما أنَّه خصَّ مَوضِعَ القمر بتلك الصّيغة مراعاةً للفاصلة، ولقرينةِ جمع ﴿جَنَّٰتٍ﴾، فلو قال: (وأنهار) لم يكُن مَكينًا في الفاصلة كالتَّعبير بقوله: ﴿نَهَرٍ﴾[2].

كما أنَّ الإفرادَ جاء لتصوير أنهارِ الجنَّةِ كأنَّه نهرٌ عظيمٌ واحدٌ يتشعَّبُ في تلك الجنّات، فكان الإفرادُ أبلغَ في هذا المَقام. وجمَعَ الأنهار في مَواضِعَ أُخرى حتَّى لا يتوَهَّمَ السّامِعُ أنَّ في الجنَّةِ نهرًا واحدًا فقط؛ فيدلُّ بالجَمعِ على كثرَتِها وتنوُّعِها[3].

مَوقِع جملة ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ ممّا قبلها:

قوله تعالى: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ في مَوقِع البدلِ من قوله: ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾، وهو إمّا بدلُ بعضٍ من كلٍّ، أو بدلُ اشتمال. والمعنى على الأوَّل: أنَّ ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ مَوضِعٌ مَخصوصٌ ﴿فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾، فهو بعضٌ يندرِج في نعيم تلك الجنّات، فذكَر الكلَّ ثمَّ عيَّنَ بعضَهُ المَخصوصَ داخلَ الجِنان.

نعيمُ الجنَّة لا يَكتملُ إلّا بمَقامِ القُربِ مِنَ الله

والمعنى على بدل الاشتمال: أنَّ مَقعدَ الصِّدقِ ليس جزءًا حِسّيًّا مِنَ الجِنان والأنهار (كما في بدَلِ البعضِ مِنَ الكُلِّ)، بل هو أمرٌ

(1) الشّنقيطيّ، دفع إيهام الاضطراب، ص: 217، وأضواء البيان: 4/ 272.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 442، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 169، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 175.
(3) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 18/ 287.

مَعنويٌّ يَشتملُ عليه حالُ أهلِ الجنَّة مِنَ الكرامة والرِّضا والطُّمأنينة والنَّعيم الكامل.

ويصحُّ أن يكونَ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ في مَوقِع الصِّفة لقوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ﴾، وقولُهُ: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ صفةٌ ثانيةٌ لهما؛ فيتضاعَفُ الشَّرفُ بالمَوضِع والقُرب؛ أي: في جنّاتٍ ونَهَرٍ مَوصوفَين بذلك، كما تقول: وقفةٌ في سبيل اللّه؛ أيّ: وقفةٌ مَوصوفةٌ بهذه الصِّفة الشَّريفة[1].

نكتة اختيار لفظ ﴿مَقْعَدِ﴾ بدلًا من مَجلِس:

آثرَ النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بلفظ ﴿مَقْعَدِ﴾ دون مَجلِس؛ وذلك لأنَّ المَجلِسَ يدلُّ على الجلوس في ذاتِه من غير دلالةٍ على طول اللَّبث أو الدَّوام، فلو قيل: (مَجلِس صِدق) لفُهِم أنَّ لهم مَكانًا يَجلسون فيه حينًا ثمّ يَغادرونه أو يَتنقَّلون عنه، وهذا لا يُناسبُ مَقامَ الخلودِ المُنزَّهِ عنِ التَّحوُّلِ والعارضيَّة المُؤقَتة؛ فجاء التَّعبيرُ بلفظ ﴿مَقْعَدِ﴾؛ ليدلَّ على القرار الثّابت والمكثِ الدّائم واللَّبث الطَّويل، فهو حالٌ أخصُّ مِنَ الجلوس وأدلُّ على مَقام الخلود والاستمرار في النَّعيم، ولا يَخطرُ في بال أحدٍ المَعنى المَذموم للقعود، فهو خاصٌّ في سياق القُعود عنِ الجهاد ومَواضِع العملِ والاجتهاد، وأمّا القعودُ في الجنَّة فكنايةٌ عنِ الخلود، وعليه: فلو قيل: (مَجلِس صِدق) لكان ممّا يطرأ عليه مَعنى المُفارقة، وأمّا التَّعبيرُ بلفظ ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ فيدلُّ على أنَّهم في مَوضِع استقرارٍ أبديٍّ لا يَتحوَّلون عنه، وهو أليَقُ بمَقام أهل الجنَّة عند ربِّهم[2].

مَقعَدُ الصِّدق في الجنَّة كنايةٌ عنِ الخُلود الهنيء والثَّبات المُطمئن

فائدة إفراد لفظ ﴿مَقْعَدِ﴾:

أُفرِدَ لفظ ﴿مَقْعَدِ﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾، وأُريدَ به

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 332، والخطيب وآخرون، التّفصيل في إعراب التّنزيل: 27/ 181.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 332، 333.

ذكرُ نعيم المُتَّقين جاء لتتميمِ وعيدِ أهلِ الجحيم

الجِنسُ، وهو دالٌّ على الجمع؛ أي: كلُّ مَقعَدٍ طيِّبٍ كريمٍ ينالُه المُتَّقون في الجنَّة، وفائدةُ إفرادِ لفظ المَقعَد مع إرادة الجنس الإشعارُ بعظمة المَقام وشرفِه حتَّى كأنَّ كلَّ المَقاعد الكريمة كالمَقام الواحدِ في شرَفِه وكرامته؛ ففيه التَّعظيمُ والتَّفخيم لشأنه، وفيه الدَّلالة على وحدة العظمة والشَّرف والنَّعيم بين أهل الجنَّة جميعًا[1]، ولمّا كان السّياقُ في ترهيب ووعيدِ الكافرين، جاء وصفُ نعيم المُتَّقين بطريق الإجمال، وشأنُ الإجمال الإخبارُ عنِ النَّعيم في مُقابل الإخبار عن عذاب أهل النّار، وتفصيلُ درجاتِ أهل الجنَّة ليس هذا مَوضِعَهُ، فإنَّ الإخبارَ عن نعيمِهم جاء لتتميم التَّرهيب والتَّبكيتِ وتشديدِ النَّكير على المُشركين.

دلالة الإضافة في ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾:

كرامةٌ لا يشوبُها باطلٌ، ونعيمٌ لا يُخالِطُه زيفٌ

إضافة ﴿مَقْعَدِ﴾ إلى ﴿صِدْقٍ﴾ من باب إضافة الموصوف إلى الصِّفة؛ للمبالغة في تمكُّن الصِّفة منه، فهُم في مَقعَدٍ يَشتملُ على كلِّ ما يَحمدُهُ القاعِدُ فيه[2]. وهذه الإضافةُ لأدنى مُلابَسة[3]، فهو مَقعَدٌ يلتبسُ به الصِّدقُ من كلِّ وجهٍ، فلا يشوبُهُ كذِبٌ قطُّ، لا في الخبر عنه، ولا في وصفِه، ولا في أهله، فكلُّه حقٌّ[4]. فالمُخبِرُ عنه صادقٌ، والمَقعَد نفسُه في الوصفِ مُطابِقٌ، والفائزون به أهلُ صِدقٍ وحقٍّ.

دلالةُ مجيء الصِّفة مَصدرًا:

مَقامُ النَّعيم والخُلود أقيمُ من جوهر الصِّدق والبراءة من كلِّ نقصٍ

الإضافة في قوله تعالى: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ من إضافة المَوصوف إلى الصِّفة، كأنَّه قيل: (مَقعَدٌ صِدقٌ) فنعتَ الموصوفَ بالمصدر، بجعلِ العين نفسَ المعنى مبالغةً، كأنَّ هذا المَقعَدَ أوجدَهُ اللّه من حقيقة الصِّدق، فكأنَّ ذاتَ الموصوف تحوَّلَتْ إلى نفسِ معنى الصِّفة[5].

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 19/ 136، والآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 95.
(2) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 27/ 227.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 95.
(4) ابن عثيمين تفسير سورة القمر، ص: 298.
(5) السّامرائي، معاني النّحو: 3/ 190.

دلالاتُ المَجاز والحقيقة في لفظ الصِّدق:

صِدقُ الحال يَستجلِبُ صِدقَ المَقامِ وشَرَفَ المَنزِل

يحتمِلُ لفظُ الصِّدق في قوله تعالى: ﴿مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أن يكونَ من باب المَجاز المُرسَل، فليس المقصودُ الحقيقةَ اللَّفظيّة للصِّدق (مُطابقة الخبر للواقع)، بل ما يَلزمُ عنِ الصِّدق، وهو المكانُ المَرضيُّ؛ أي: مقامٌ طيِّبٌ مَقبولٌ، حسنٌ مَحبوبٌ عند الله. فأُطلِقَ الصِّدقُ، وأُريدَ لازِمُهُ (المكانُ المَرضيُّ المَحمودُ)، ويَحتمِلُ أن يكونَ استعارةً؛ أي: أنَّ الصِّدقَ شُبِّهَ بشيءٍ آخرَ، مِثْل المَكان المَرضيِّ، وذُكِرَ لازمٌ من لوازمِه على سبيلِ الاستعارةِ المَكنيَّة، ويَحتمِلُ حَمْلَ اللَّفظ على ظاهرِه، فيُرادُ: صِدقُ المُخبِر به أو صِدقُ أصحابِ هذا المَقعَد المَجزيِّين به[1].

بلاغةُ الكناية في الظَّرف:

العِنديَّةُ في قوله تعالى: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ للقرب الرُّتبيِّ، فالمرادُ قُربُهُم في المَنزِلة والمَرتبة والشَّرف، فهي كنايةٌ عنِ الكرامةِ الّتي يَحظَون بها، والمَنزِلةِ الّتي يَنالونها.

دلالةُ تنكيرِ وصفَي الجَلال:

مَقامُ القُرب مُنزَّهٌ عنِ الوصف مُقدَّسٌ عنِ الحدِّ

نُكِّرَ لفظا ﴿مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾؛ للدَّلالة على عظمةٍ غيرِ مَحدودةٍ؛ فهو مليكٌ ذو مُلكٍ عظيمٍ لا يُحاطُ به وصفٌ، ومُقتَدِرٌ ذو قُدرةٍ قاهرةٍ لا يُدرِكُها عقلٌ. ففي التَّنكير إشارةٌ إلى أنَّ مُلكَهُ تعالى وقُدرتَه ﷻ لا تدري الأفهامُ كُنهَهُما، وكمالهُما فوق ما تستطيعُ العقولُ إدراكَهُ[2].

دلالةُ صِفتَي ﴿مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ بالذِّكر:

جلالُ المَلِكِ وكمالُ القُدرةِ فوقَ إدراكِ المَخلوقين

خَصَّ النَّظمُ الكريمُ وصفَي ﴿مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ في الفاصلة؛ ليناسِبَ مَقامَ العِنديَّة والقُرب، ومَقامَ النَّعيم واللَّذَّة؛ لأنَّ القُربةَ مِنَ الملوك لذيذةٌ، وكلَّما كان المَلِكُ أشدَّ اقتدارًا كان المُتقرِّبُ منه أشدَّ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 95.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 95.

التذاذًا، وفي تعقيب ﴿مَلِيكٍ﴾ بـ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ إشارةٌ إلى أنَّ القُربَ منه سبحانه يُخالِفُ القُربَ من سائر الملوك، فإنَّ المُلوكَ يُقرِّبون منهم مَن يُحبّونه ومَن يَرهَبونه، مخافةَ أن ينقلبوا عليهم، وينحازوا إلى عَدوِّهم فيغلبونهم، ولذلك قال تعالى: ﴿مُّقْتَدِرٍ﴾؛ ليدلَّ على أنَّه لا يُقرِّبُ أحدًا إلّا بفضله[1].

دلالةُ صيغتَي ﴿مَلِيكٍ﴾ و﴿مُّقْتَدِرٍ﴾:

لفظُ ﴿مَلِيكٍ﴾ أبلغُ من (مالك)، و﴿مُّقْتَدِرٍ﴾ أبلغُ من (قادر)؛ لدلالةِ (فعيل) على المُبالغة واللُّزوم، ودلالةِ (مفتعِل) على طلاقةِ الفعل وشدَّة القيام بالصِّفة والتَّمكُّن منها[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الغَلبةُ والهزيمة:

تـدلُّ الغَلبةُ على القَهر دون كسرٍ، والهزيمةُ على القهر بانكسارٍ وتحطيمٍ

بين الغلبةِ والهزيمةِ عمومٌ وخصوصٌ؛ فكلُّ مَهزومٍ مَغلوبٌ، وليس كلُّ مَغلوبٍ مَهزومًا. لأنَّ الهَزْمَ حطْمٌ وكسْرٌ. والغلبةُ قوَّةٌ وشدَّةٌ وقهرٌ[3]، وذلك لا يَلزمُ عنه انكسارٌ أو تحطيمٌ. فالهزيمةُ إذًا أبلغُ مِنَ الغَلبة، ولذلك لم يقُل هنا: (ربِّ إنّي مهزومٌ فانتصِرْ)؛ لأنَّ وليَّ اللهِ لا يُهزَمُ أبدًا! ولكن قد يجفو عليه غِلاظُ القلوب فيَغلبوه ويُحرِجوه، ولذلك فالتَّعبير بـ﴿مَغْلُوبٌ﴾ هنا فيه إشارةٌ إلى أنَّ قومَه كانوا غِلاظًا قُساةً، وهذه طباعُ الكَفرة. لأنَّ أصلَ (غلب) الغِلظةُ والسَّماكةُ، فأصلُه من قولهم: رجلٌ أغلَبُ وامرأةٌ غَلباءُ؛ أي: غليظةُ الرَّقبة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ [عبس: 30]؛ أي: غِلاظًا مُمتلِئةً[4].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 334.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 18/ 343.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (غلب، هزم).
(4) السّمين، عمدة الحفّاظ: (غلب).

الزُّبُر والصُّحف والكتاب:

الزُّبُر هي الكُتُبُ المَكتوبة بإحكام، وزَبَرَ: قَطَعَ، وقَيَّد. ومن ذلك: زَبَرْتُ الكتاب: كتبتُه كتابةً غليظةً، وكلُّ كتابٍ غليظِ الكتابة يُقال له: زَبورٌ. والزُّبْرَةُ: قطعةٌ عظيمةٌ مِنَ الحديد، جَمعُه زُبَرٌ[1]، فالزُّبُر تدلُّ على الكُتُب الجامعة المُحكَمة، فيها معنى القوَّة والصَّلابة، كأنَّها ألواحٌ أو نصوصٌ مُقيَّدةٌ لا انفكاكَ عنها، وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ﴾، ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦﴾ [الشّعراء: 196]. فدلالتُها الظّاهرة: الكتابات الموثَّقة السّابقة، ذات الطّابع المَجموع والمَحفوظ كالسِّجلّات[2].

الـزُّبُـر هي المُـحـكَـمـةُ في كـتـابـتـهـا، والـصُّـحـفُ هي الأوراقُ المكتوبُ فيها، والكُتُب باعتبار الجَمع فيها

والصُّحُف جمع (صحيفة)، والصَّحيفة: الّتي يُكتَبُ فيها. وأصلُ الصَّحيفة: المَبسوط من كلِّ شيءٍ. ومنه صحيفة الوجه. والمُصحَف: هو الجامِعُ للصُّحُف المَكتوبة. والجمعُ مَصاحِف[3]. وقد كانَت صُحُفُ الكتابة قديمًا ألواحًا طينيَّةً وعظامًا ذاتَ وجهٍ عريضٍ وأحجارًا، كذلك ثمَّ رُقَعًا جلديَّةً، ثمَّ اتُّخِذَ الورقُ[4]. فالصُّحُفُ تدلُّ على الأوعية المادّيَّة للكتابة، بخلاف الزُّبُر الّتي تُشيرُ إلى قوَّة الكتاب نفسِه وغِلظَتِه في القَطع والإحكام.

والكُتُب جمعُ كتابٍ، مَصدر (كتَبَ)؛ أي: جَمَعَ وضَمَّ[5]. فالكتُب تدلُّ على: الوحدةِ الجامعةِ الّتي تحتوي ما فُصِّلَ في غيرها. وكلُّ شيءٍ جَمَعتَ بعضَه إلى بعض فقد كتبتَه[6].

(1) الرّاغب، المفردات: (زبر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (زبر).
(3) السّمين، عمدة الحفّاظ: (صحف).
(4) محمد جبل المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (صحف).
(5) السّمين، عمدة الحفّاظ: (كتب).
(6) الفيروزآباديّ، بصائر ذوي التّمييز: (كتب).

المسُّ والإصابة:

المَسُّ يدلُّ على المُلامسةِ والوصولِ باليد أو بما في مَعناها[1]، فيدلُّ اللَّفظُ على الملامسة والاتِّصال والإمساك باليد، وقد يُستعمَلُ في أدنى درجاتِ ذلك، ولو من غير إيلامٍ أو نفوذٍ[2]. فالمسُّ يُعنَى بمُجرَّد الوصولِ أو التَّعرُّض، سواء خفيفًا أو مَعنويًّا. ومن ذلك ما جاء في الخبر: لم نجِدْ مَسًّا مِنَ النَّصَب، وهوَ أوَّل ما يُحَسُّ بهِ مِنَ التَّعب[3].

المــسُّ بحسب المُلامسَة ولو قلَّت، والإصابةُ أعمَقُ وأشدُّ

وأمّا الإصابةُ فتدلُّ على التَّوجُّه نحو الشَّيء والاستقرار فيه[4]. والصَّوْبُ أيضًا: الإصابة، وتُستعمَلُ في الخير والشَّرِّ. ومنه المُصيبةُ والمُصاب[5]. فمدلولُ الإصابة: هي الوقوع على الشَّيء وقوعًا تامًّا مُؤثِّرًا؛ أي: بُلوغُه بالتَّحقُّق والنَّفاذِ، وذلك يقتضي إصابةَ الهدَف المَقصود، مع إحداثِ أثرٍ واضحٍ (خيرًا أو شرًّا).

إذن من حيث القوَّة: فالمسُّ: أخَفُّ، قد يكون مُجرَّدَ مُلامسةٍ أو تعرُّضٍ، وأمّا الإصابةُ فأعمَقُ وأشَدُّ، تدلُّ على نُفوذٍ ووقوعٍ مُؤثِّر.

جهنَّم والنّار وسَقَر:

جهنَّمُ هي اسمٌ لنارِ اللّه الموقَدة، وهو لفظٌ يدلُّ على العُمق والظُّلمة وبُعدِ القَعر[6]، فجهنَّمُ هي الاسمُ الجامِعُ لأشدِّ مَراتِب النّار وأعمَقِها، ولفظُها يشتملُ على الهَول والفظاعة والعُمقِ، فهي قَعرُ النّار ومُستقَرُّ الكُفّار.

جـهـنَّـمُ اسـمٌ لـلـنّـار بـعـيـدةِ الـقَـعـر، والـنّـارُ وصـفٌ لعنصرِ العذاب، وسَقَر دركةٌ مَخصوصةٌ مـن دَركـات جهنَّمَ

وأمّا النّارُ فتدلُّ على الإضاءة والاشتِعال المُلتهِب[7]، فهي تَصدقُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والفيروزآباديّ، القاموس المحيط: (مسّ).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (مسس).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (مسس).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صوب).
(5) السّمين، عمدة الحفّاظ: (صوب).
(6) الجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (جهنم).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (نور).

على الطَّبيعة المُحرِقة نفسِها الّتي يُعذَّب بها، سواءً أكانَت نارَ الدُّنيا أم نارَ الآخرة. فلفظُها يتوفَّرُ على صفة الإحراق والعذاب الحسّيِّ.

وسَقَر هو اسمٌ مِن أسماء النّار، وتدلُّ على شدَّة الحرِّ والإحراق، يُقال: سَقَرَتْهُ الشَّمسُ أي: لوَّحَتْهُ بحَرِّها؛ أي: غيَّرتْ جِلدَهُ وبشرَتَهُ، وأذابَته[1]. إذن ﴿سَقَر﴾ هو أحدُ أسماءِ دركاتِ جهنَّمَ الخاصَّةِ بالكافرين، تدلُّ على الحرارة الماحِقة الّتي تُسقِرُ الجِلدَ وتسوِّدُهُ؛ أي: تُغيِّرُ البشرةَ بالاحتراق.

الأشياعُ والأتباع:

الأشياع لفظٌ يُطلَقُ على الأتباع الّذين لهم قوّةٌ وانتشارٌ بالتَّبعيّة القائمة بينهم، فهُم يَتماثلون ويَتشابهون في العصبيّة والقوّة والتَّحزُّب لِمَسلَكهم، وأصل ذلك مِنَ (الشّياع): الانتشار والتّقوية. يُقالُ: شاعَ الخبرُ؛ أي: كَثُرَ وقَوِيَ، وشاعَ القومُ: انتشروا وكثروا، وشَيَّعْتُ النّارَ بالحَطب: قوّيتها، والشّيعَةُ: مَن يَتقوّى بهم الإنسانُ، ويَنتشرون عنه.

الأشياعُ سندٌ في المَنهج، والأتباع تكثيرٌ في الطّريق

والأتباعُ فمن (تبع)، وهو أصلٌ يدلُّ على التُّلُوِّ والقَفْوِ[2]، فالشَّيءُ يَتْبَعُ الشَّيءَ: إذا تلاهُ وجاء في قَفاهُ، فهو يدلُّ على مُطلَق اللُّحوقِ للغير في شيءٍ ما، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ [غافر: 47]؛ أي: لَحِقْنا بكم في العمَلِ والمَصير.

الفعلُ والعملُ والصُّنع:

الصُّنْعُ إجادةُ الفعل؛ فكلُّ صُنْعٍ فِعْلٌ، وليس كلُّ فعلٍ صُنْعًا، ولا يُنسَبُ إلى الحيوانات والجمادات كما يُنسَبُ إليها الفعلُ[3]، والعَمَلُ كلُّ فعلٍ يكونُ مِنَ الحيوان بقَصدٍ؛ فهو أخَصُّ مِنَ الفعل؛ لأنَّ الفِعلَ

الفعلُ أوسَعُ الألفاظ، والعمَلُ أخَصُّ، والصُّنعُ أخَصُّ الجميع

(1) الصّحاح، الجوهريّ، وابن فارس، مقاييس اللّغة، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (سقر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (تبع).
(3) الرّاغب، المفردات: (صنع).

قد يُنسَبُ إلى الحيوانات الّتي يقعُ منها فعلٌ بغيرِ قَصد، وقد يُنسَبُ إلى الجمادات، والعَمَلُ قلَّما يُنسَبُ إلى ذلك، ولم يُستعمَلِ العَمَلُ في الحيوانات إلّا في قولهم: البقر العَوامِلُ، والعَمَلُ يُستعمَلُ في الأعمالِ الصّالحة والسَّيِّئة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: 277][1]. فالعملُ إيجادُ الأثر في الشَّيء، يُقالُ: فلانٌ يَعملُ الطّينَ خَزفًا، ولا يُقالُ: يفعل ذلك، لأنَّ فعلَ الشَّيء عبارةٌ عمّا وجَدَ في حالٍ كان قبلَها مَقدورًا، سواء كان عن سببٍ أو لا[2].

والفِعلُ التَّأثير من جهةِ مؤثِّر، وهو عامٌّ لِما كان بإجادةٍ أو غيرِ إجادة، ولِما كان بعلمٍ أو غيرِ علمٍ، وقصدٍ أو غيرِ قصدٍ، ولِما كان مِنَ الإنسان والحيوان والجمادات؛ والعمَلُ مثله، والصُّنعُ أخَصُّ منهما، قال: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: 197]، ﴿وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا﴾ [النّساء: 30]، ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: 67][3].

المَكتوب والمُستَطَر:

المكتوب: مِنَ الكُتُب: وهو الجَمع، والكتابُ اسمٌ لِما كُتِبَ مَجموعًا[4]، والكتابةُ إثباتُ الكلام بحروفٍ مَجموعةٍ في النَّظم والخطِّ[5]، والمُستَطَرُ مِنَ السَّطر، وهو الصَّفُّ مِنَ الكتابة، والسَّطرُ من أيِّ شيءٍ هو الصَّفُّ منه. والسَّطرُ: الخطُّ والكتابةُ؛ لِمُراعاة استقامة الصَّفِّ فيهما غالبًا[6]. والمُستَطَر: اسمُ مَفعولٍ من (استطر) زِنةُ (افتعل) بمعنى مَكتوب، وزنُهُ (مُفْتَعَل) بضمِّ الميم وفتحِ العين[7].

المكتوبُ يُؤكِّدُ على التَّدوين الجامِع للمَضامين، أمّا المُستَطَرُ فيزيد معنى الدّقّة

(1) الرّاغب، المفردات: (عمل).
(2) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 109 - 110.
(3) الرّاغب، المفردات: (فعل).
(4) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب: (كتب).
(5) الرّاغب، المفردات: (كتب).
(6) الجوهريّ، الصّحاح، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (سطر).
(7) صافي، الجدول: 14/ 86.

والمُستَطَرُ يتضمَّنُ معنى (المكتوب) وزيادة؛ ففيهِ ترتيبُ المَكتوب صفًّا بعدَ صفٍّ، وسطرًا بعد سطر. ولذا فهو أخَصُّ مِنَ المَكتوب. إذ لا يَقتصرُ على إثباتِ المَضمون، بل يُشير إلى طريقة التَّسجيل المُنظَّمِ الّتي تُعطي معنَى الإحاطةِ والدِّقَّة في التَّدوين.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"